

أحد جميع القديسين

الرسول يهوذا نسيب الرب، بايسيوس الكبير

١٩ - ٦ - ٢٠١١

الرسالة عب ١١: ٣٣ - ٤٠، ١٢: ١ - ٢

الإنجيل متى ١٠: ٢٢ - ٣٣، ٣٧ - ٣٨، ١٩: ٢٧ - ٣٠

المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل آنٍ وإلى دهر الدهرين، آمين.

اليوم نُعيدُ لجميع القديسين الذين في كلِّ العالم. نُعيدُ لجميع الذين لمعوا في الدنيا شرقاً وغرباً، وجنوباً وشمالاً، والمزمعين أيضاً أن يُصبحوا قديسين. فالقداسة لا تُحدُّ بزمنٍ أو بأشخاصٍ معدودين، لكنّها تنتشرُ كالنور الذي يُبددُ الظلمة. هكذا نعمة المسيح تنتشرُ بين البشر، والذين يقبلونها يمتلكون قداسةً. والقديسون لا ينتمون إلى زمنٍ غابرٍ قد مضى، لكنهم موجودون الآن في عصرنا، وسيوجدون أيضاً بعدنا. لا حدود للقداسة، ولكننا نُعيدُ للجميع، لكي نعرفَ أننا لا ننحصرُ بأعياد القديسين، الذين نعرفهم ونعرفُ تواريخَ أعيادهم ونحتفلُ بهم في أوقاتٍ محدّدة، لكننا نُعيدُ للقديسين بأسرهم، أي بالنتيجة لِمجيدِ الله الذي أعطاهم نعمة القداسة.

وهذا رأيٌ ينبغي أن نأخذَ به، وتعليمٌ نتبعه، لكي نعرفَ أننا نحنُ أيضاً مدعوون للقداسة. ألم نأخذَ هذه النعمة في المعمودية؟! إذا علينا أن نستثمرها، ونكونَ جديين، كما يُعلمُ الرسول بولس عن الذين ذكّرهم في هذه الرسالة اليوم كيف عاثوا، طالباً إلينا أن نجهدَ ونجاهدَ بالصبر. هذا هو المطلوبُ منّا، أن نكونَ صبورين في جهادنا، نصبرُ على آلامنا وتجاربنا. وعندما نصبرُ، لا بُدَّ أن نفوز. لأنَّ الله، الذي دبرَ لنا أن نُجاهدَ هذا الجهاد، هو معنا، يُجاهدُ معنا ويُقدّسنا ويُسعفنا، حتّى نتصيرَ ويُسرَّ بجهادنا.

هكذا كان ينظرُ إلى جهادات القديس أنطونيوس في البرية. بعد أن كدّه التعبُ وأضناه ضربُ الشيطانِ بآلامٍ كثيرةٍ وجرحه، سألَ أنطونيوسُ الربَّ: أينَ كنتَ؟ فقد كنتُ

أَسْتَجِدُّ بِكَ كَثِيرًا، وَلَمْ تَأْتِي إِلَيَّ؟ قَالَ لَهُ: يَا أَنْطُونِيوسَ، كُنْتُ مَعَكَ أَفْرَحُ بِجِهَادِكَ، وَالآنَ أَظْهَرُ لَكَ لِكَي أُثَبِّتَ لَكَ أَنَّكَ فِي الْجِهَادِ الْقَوِيمِ وَفِي السُّلُوكِ الْحَقِيقِيِّ. لَا تَطْلُبُ الْمَعْجَزَةَ فُورًا، عِنْدَ ذَاكَ تَكُونُ أَتْكَالِيًّا. اللَّهُ مَعَكَ، فَاصْبِرْ عَلَى جِهَادِكَ. وَعِنْدَمَا يَرَى صَبْرَكَ، يُعِينُكَ أَكْثَرَ، وَيُجَلِّيكَ بِالْإِنْتِصَارِ.

فَلْجَاهِدِ إِذَا بِصَبْرٍ، وَلَنْ كُنْ مُثَابِرِينَ. لِأَنَّ الْحَيَاةَ هَذِهِ الَّتِي نَعِيشُهَا، إِنْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِبِيَّا لَنَا لِنَصِلَ إِلَى الْقِدَاسَةِ، فَمَا هُوَ هَدْفُهَا إِذَا؟ وَمَا هُوَ نَفْعُهَا؟ لَيْسَ لَهَا نَفْعٌ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تُؤَدِّي إِلَى الْقِدَاسَةِ وَالْمَلَكُوتِ. هَذَا هُوَ وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ، حَيْثُ يَتَعَبُ الْإِنْسَانُ وَيَشْقَى وَيُقَدِّمُ أَعْرَاقًا كَثِيرَةً، لَكِنَّ اللَّهَ يُكَلِّلُ صَبْرَهُ بِالْإِنْتِصَارِ وَالْقِدَاسَةِ وَالْحَيَاةِ الْمَلَكُوتِيَّةِ.

فَكُونُوا مُجَاهِدِينَ، خَاصَّةً فِي بَدَايَةِ الْعُمْرِ، لِأَنَّكُمْ بِذَلِكَ تَعْتَادُونَ أَنْ تَكُونُوا عَلَى هَذَا السُّلُوكِ. الَّذِينَ يَعْتَادُونَ عَلَى سُلُوكِ مُنْفَكٍّ وَمُبْتَعِدٍ عَنِ الرَّبِّ، يَصْعَبُ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَعْدَ أَنْ يَسْلُكُوا هَذَا السُّلُوكَ، تَمَامًا كَالرِّيَاضَةِ. فَإِنْ كُنْتَ تَتَرَبَّصُ كُلَّ يَوْمٍ مُنْذُ حَدَاثِكَ، فَإِنَّكَ فِي كِبَرِكَ وَفِي شَيْخُوخَتِكَ سَتَسْتَمِرُّ، لِأَنَّكَ اعْتَدْتَ عَلَى هَذَا النِّظَامِ. أَمَّا إِذَا جِئْتَ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً مِنَ الرَّاحَةِ وَقَلَّةِ الْحَرَكَةِ لِتَتَرَبَّصَ، فَإِنَّكَ لَنْ تَتَحَرَّكَ الْبَتَّةَ. فَجَاهِدْ مَا دُمْتَ شَابًّا، حَتَّى تَصِلَ إِلَى الْغَلْبَةِ مِنْذُ الْآنَ. وَعِنْدَ ذَلِكَ تَعْتَادُ أَنْ تَكُونَ مُنْتَصِرًا، فَلَا يَقْوَى عَلَيْكَ الشَّرُّ. لَا تَتَهَاوَنِ الْبَتَّةَ وَلَا تَسْمَحْ بِأَنْ تَأْتِيكَ التَّجَارِبُ وَأَنْتَ خَاضِعٌ لَهَا، عِنْدَ ذَلِكَ تُصْبِحُ مُتَهَاوِنًا. وَفِي تَهَاوُنِكَ، لَنْ تَنْتَصِرَ. أَمَّا فِي اجْتِهَادِكَ وَفِي صَبْرِكَ عَلَى الْآلَامِ وَالصَّعُوبَةِ وَالتَّجْرِبَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا، فَإِنَّكَ تَغْلِبُ وَيَكُونُ أَجْرُكَ أَنْ تَلْتَصِقَ بِالْمَسِيحِ، وَهَكَذَا تَتَقَدَّسُ.

وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَكْثَرَ، عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَأَ سِيرَةَ الْقِدِّيسِينَ الْأَبْرَارِ، الَّذِينَ أَعْلَنَتْهُمْ الْكَنِيسَةُ. لَا لِكَي تَقُولَ: عِنْدَنَا عِدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْقِدِّيسِينَ، بَلْ لِكَي تَقُولَ لَكَ: هَذِهِ نَمَازِجٌ وَضَاءَةٌ، عَلَيْكَ أَنْ تَتَمَثَّلَ بِهَا، وَأَنْ تَمْشِيَ عَلَى دَرَبِهَا. عِنْدَ ذَلِكَ، فِي عِشْرَتِكَ لِلْأَبْرَارِ، تَصِلُ إِلَى الْمَسِيحِ. وَفِي صَلَاتِكَ الْيَوْمِيَّةِ وَقِرَاءَتِكَ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، أَنْتِ تَتَقَوَّمُ وَتَجْعَلُ حَدًّا فِي حَيَاتِكَ، لِنَلَّا تَتَحَرَّفَ إِلَى الْخَطِيئَةِ. هَكَذَا تَحْفَظُ نَفْسَكَ بِانضِبَاطٍ، وَفِي سَلَامَةٍ وَصَبْرٍ تُجَاهِدُ، فَتَنَالُ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ فِي الْمَلَكُوتِ.

فَلْيَشْفَعْ بِنَا جَمِيعُ الْقِدِّيسِينَ، الَّذِينَ الْيَوْمَ نَسْتَذْكِرُهُمْ فِي كُلِّ الْبُلْدَانِ وَالْأَمَاكِنِ. وَلا حِظْوَا أَنْ الْكَنِيسَةَ لَا تَنحَدُّ بِقِدِّيسِينَ مَحَلِّيِينَ. هِيَ تَشَجَّعُ بِهِمْ، وَتَقْوَى وَتَنْتَصِرُ، وَلَكِنَّهَا

تُعِيدُ وَتَفْرَحُ بِكُلِّ الْقَدِيسِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لِأَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا يَحْمِلُونَ نِعْمَةَ الرَّبِّ، وَيَمْلِكُونَ  
هَذِهِ النِّعْمَةَ لِكَيْ يُقَدِّسُونَا وَيُنِيرُونَا. فَبِتَعَلُّمِنَا مِنْ سِيرَتِهِمْ وَحَيَاتِهِمْ، نَتَمَثَّلُ بِهِمْ، وَنَمْتَلِي أَيْضًا  
مِنْ نِعْمِهِمْ بِرَكَاتٍ غَزِيرَةٍ، وَنَتَقَدَّسُ وَنَتَقَوَّى وَنَتَقَدَّمُ فِي جِهَادِنَا. فَلْيُبَارِكُونَا فِي هَذِهِ  
الصَّبِيحَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَيَجْعَلُوا سِيرَةَ حَيَاتِنَا مُتَمَثِّلَةً بِسِيرَتِهِمْ وَبِقِدَاسَتِهِمْ، فَحَرِّزْنَا نَحْنُ أَيْضًا نَصْرًا  
مِنَ الرَّبِّ مُبَارَكًا، وَيَتَمَجَّدَ اسْمُهُ الْقُدُّوسُ فِينَا، آمِينَ.

الأرشمندريت المتوحد بندلاييمون

رئيس الدير